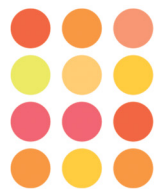
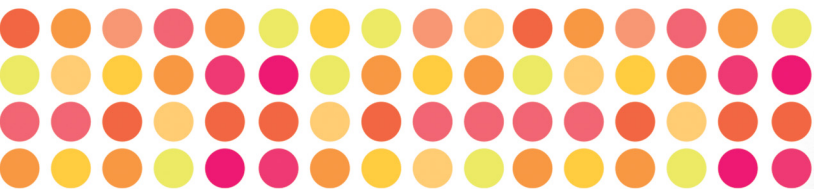


شرف المهنة

محمد فتحي صبري



شرف المهنة

كانت فوزية الكاشف فتاة تختلف عن معظم زميلاتنا بل ومعظم الناس فهي تعشق الأتسان الهلاو .. سواء كان رجلا أم امرأة، لأن الحياة في نظرها مجرد شطاره، ولذلك كثيرا ما يسمعون الناس وهي تنسى على «عبدون الجيار».. الرجل الذي لا يقوم بعمل شيد جاد، ولكنه يستفيد من كل ما يحدث حوله.. فإذا كانت هناك أزمة



في إحدى السلع التموينية، كنقص مثلا في زيت الطعام، وتضطر الحكومة إلى بيعه مدعما عن طريق المجمعات الاستهلاكية، أى بسعر أقل من سعره الأصلي، ولذلك تشتري أن لا يشتري المواطن منه أكثر من زجاجة واحدة، يذهب هو وأولاده، بل وأبناء جيرانه، ليشتري كل منهم زجاجة من زيت الطعام ويعاود كل منهم الشراء في كل يوم من المجمعات.. وبهذه الطريقة يستطيع هو عبدون الجبار أن يخزن المئات من زجاجات زيت الطعام بمنزله، ولا يلبث أن يبيعها في السوق السواء بضعف الثمن الذى يشتري به المواطن الزيت من الجمعية!.. وعندما كان أهل الحى يلومونه على ذلك لأنهم يرون أن ما يفعله أستغلالا للظروف، مما يؤدى إلى رفع الأسعار، يضحك ويعلق قائلا في فخر وتباه:



لو كان أحدكم يملك نصف شطارتى وفهلوتى، لفعل مثلما أفعل، ولأستغل الموقف وكسب من وراء ذلك كثيرا.
.. وكانت فوزية كلما سمعت ذلك عن «عبدون الجيار» تزداد إعجابا به، وتثنى على ذكائه وشطارته لكل من تعرفهم .

كما كانت «فوزية» تعجب برجل يجلس دائما على المقهى التى تقع أسفل المنزل الذى تقطن فيه أسرتها، يدعى «أبو دومه»، وكان لا يغادر المقهى طوال اليوم، كان يجلس ليشاهد المجموعات من رواد المقهى وهم يلعبون الزد، وبينما هم مندمجون ومتحمسون فى اللعب، يضع هو شروطا لأشغال الحماس فى اللعب، بأن يسدد المهزوم قيمة المشروبات ، ووجبة الغذاء لكل من يشاهد اللعب.. ولما كان هو يجلس



مشاهدا دائما، لذا كان يتناول دائما وجبات غذائية ومشروبات واء الآخر.. وكل ذلك بالمجان !

فكانت فوزية الكاشف، كلما شاهدهته يفعل ذلك، تصيح فى إعجاب شديد :
ياله من رجل فهلوى.



بيد أنه وبالرغم من اعجابها الشديد «بعبدون الجبار» وزبو دومه، لكنها فى الوقت نفسه، كانت تنظر إلى خالها المحاسب بإحدى الشركات نظره أزدراء واستخفاف، لأنه شخص غير فهاو، نظرا لأنه يؤدى عمله بأمانة تامة، وكان يمكنه من وجهة نظرها أن يبذل نصف هذا الجهد، ولن يشعر صاحب الشركة بشىء.

.. ولذلك فإنه ما أن التحقت فوزية الكاشف بالمدرسة الثانوية.. حتى صار شعارها الذى أعلنته لجميع زملائها، وصارت تتباهى به فى كل مكان.. هو الفهلوه.. وكانت تقصد بذلك كيفية الوصول إلى أى نتيجة بأقل قدر من الجهد.. حتى لو كان السبيل لتحقيق ذلك هو الغش..

وهذه هى الشطاره !

ولم تعلن فوزية الكاشف هذا الشعار فقط، بل راحت تطبقه فى كل أمور حياتها.. فكانت تتباهى بزنها من خلال الفهلوه، تنجح فى الامتحانات.. ففى كل اختبارات المدرسة الشهري أو اختبارات نهاية كل عام، كانت تلجأ إلى الغش.. فكانت تاره تنقل كل المواضيع المقررة فى كل مادة فى أقاصيص ورق صغيرة، وتضع هذه الأقصوصات فى وسط أوراق الإجابة.. لتنقل منها الإجابة..

بدون أن يشعر مراقبى لجنة الامتحانات بما يحدث ولذلك كانت زميلاتها يتعجبين من نجاحها بتفوق، بالرغم من أنها تلعب طوال اليوم.. فعندما يسألونها كانت لا تجيبهم ألا بكلمة واحدة... الفهلوه.



.. وحدث يوما أن أصيبت معلمة
اللغة الأنجليزية بمرض اضطرها إلى
الأقامة عدة أيام بالمستشفى للعلاج،
فاتفقت هي وزميلتان من الفصل
على زيارتها ومشاركة ثلاثتهن في
شراء باقة ورد من مصروفهم ،
لتقديمها للمعلمة بالمستشفى..
ولما ذهبن ثلاثتهن إلى المستشفى،
تعمدت فوزية أن تحمل باقة الورد،
فلما قدمتها إلى المعلمة، اعتقدت أن
فوزية هي التي اشترت باقة الورد
بمفردها، فقالت لها شاكره :

ولماذا كل هذا التعب يا فوزية ؟



.. بينما انتظرتا زميلتاها أن تذكر فوزية للمعلمة أنهن شاركتها في تكاليف شراء
الباقية، لكنهما فوجئتا بفوزية تقول للمعلمة :
هذا أقل شيد ممكن تقديمه لك .

ولم تضيف ولو كلمة واحدة تشير بمشاركتها لها ، مما أكد للمعلمة أن فوزية فقط
هي التي اشترت الباقية فراحت كل منهن تبلىا جميعا التلميذات بالمدرسة بما حدث من
فوزية.. ولكن الجميع فوجئ بفوزية تضحك من ذلك، وتتباهى بما حدث.. وتعتبر
ذلك من قبيل الفهلوة!

.. وعندما حصلت فوزية على المؤهل المتوسط، التحقت بوظيفة في قسم الحسابات
برحدى الشركات الخاصة.. ولكنها لما كانت تميل إلى عدم بذل الجهد، لذلك كانت
لا تطيق العمل.. فراحت تسأل نفسها : أين الفهلوة يا فوزية ؟!

فجعلت لا تفكر في شيء حتى أثناء العمل سوى كيفية الوصول إلى طريقة
تجعلها تحصل على أعلى دخل بدون أن تبذل جهدا.. حتى تفتق ذهنها أخيرا عن
فكرة ستجعلها لا تبذل جهدا تماما، ورغم ذلك تتقاضى راتبا عن عملها أكبر مما



تحصل عليه.. فقد عرفت من زملائها في العمل، أن صاحب الشركة غير متفرغا
لمتابعة العمل بها، لزن لديه العديد من الشركات الأخرى، ولذلك لا يحضر إلى
الشركة سوى مرة أو مرتان في العام بأكمله.. ففكرت أن تستغل ذلك بزن تطلق
إشاعة لتنتشر بين موظفي الشركة.. وخاصة رؤسائها في العمل، بأنها إحدى قريبات
مالك الشركة، وأنها تنقل إليه كل ما يحدث في الشركة بين الموظفين، بل ومن كل



منهم على حده... حتى يتطرق الشك لدى كل منهم في أنها ليست مجرد موظفة.. بل هي جاسوسة.. ولكي تنفذ خطتها، طلبت من إحدى صديقاتها، أن تذهب إلى الشركة، وتلتقى بموظفة بها معروفة بأنها لا تستطيع أن تكتفم خبراً، فتدعى صديقه فوزية لهذه الموظفة بأنها قد جاءت لتحذر موظفي الشركة من فوزية الكاشف، لأنها في الحقيقة ابنة خال مالك الشركة، وأنها توافيه دائماً بكل ما يحدث في الشركة، وأنها هي صديقتها كانت زميلة دراسة لفوزية الكاشف، وتعرف كل شئ عنها.. ولكن لما كان زوج فوزية الكاشف، هو خطيبها السابق، لذلك أرادت هي صديقة فوزية أن تنتقم من فوزية، ولهذا قامت بالإبلاغ عنها وتحذيرهم منها.

وانطلقت الحيلة على الموظفة، والتي أسرع من فورها ، الافشاء سر فوزية
الكاشف.. فنجحت بذلك خطة فوزية، فلم تلبث فى بضعة أيام فقط أن صارت
موضعا لخوف موظفى الشركة، وراح كل منهم يسعى إلى التقرب إليها... فصارت
لا تحضر إلى الشركة للعمل، ألا بعد حضور موظفى الشركة بساعات طويلة..
وزسند رئيسها مهام عملها إلى بعض زملائها خوفا من أن تنقل إلى مالك الشركة
أخبارا مغلوطة عنه.. ولذلك تركها تفعل ما تشاء، وتحضر فى الوقت الذى تشاء .





.. ولكن .. ما أن مضى على ذلك شهر واحد فقط، إذا بإشاعة وجود موظفة بالشركة من أقارب مالكيها، والتي تنقل إليه الأخبار.. تصل إلى المالك نفسه.. ففوجئ الموظفون بمالك الشركة يحضر خصوصا إلى الشركة، ليتخذ قرارا واحدا...
رغد موظفة الحسابات.. والتي تدعى قرابته فوزية الكاشف .

وكانت فوزية الكاشف في هذا الوقت متزوجة، وقد أنجبت بعد تركها العمل..
خالد وهدى.. وبعد أربع سنوات، ألتحقت بموظيفة عاملة سنترال بدليل تليفونات



المدينة.. كان عملها تلقي طلبات المواطنين ، للأستعلام من الدليل عن الأرقام التي يطلبونها عن أرقام شركات أو مستشفيات أو مصانع أو أفراد أو غيرها.. ويساعدها في ذلك جهاز الحاسب الآلى الذى أمامها، فتستطيع موافاة الطالب برقم هاتف من تستعلم عنه فى ثوان معدودة .

.. بيد أنه.. ما أن مر عليها فى العمل بالدليل سوى ثلاثة أسابيع فقط.. حتى عاودتها طبيعتها التى تغلب عليها دائما.. الفهلوه.. فبدلاً من أن تقوم بخدمة العملاء وهو عملها المطلوب منها، والذى تتقاضى عنه أجرها، وجدت فى هذا العمل الفرصة لتحدث من خلال الهاتف طوال الوقت مع أقاربها وصديقاتها ومعارفها..

فلم يتصور أحد أبدا أنها تترك عملها لتثرثر مع الآخرين من خلال الهاتف.. وتبدو لكل من يشاهدها أنها منهمكة تماما في عملها من خلال استخدامها للهاتف دائما، ومن خلال شاشة الحاسب الآلى الموضوع أمامها، لتوافى طالبي خدمة الأستعلام بأرقام خطوط الهواتف التى يطلبونها.. ولذلك كان رئيسها وزملائها فى العمل لا يتصورون أبدا أنها لاتعمل.. بل تثرثر مع صديقاتها وأقاربها ومعارفها طوال وقت العمل .





وبالرغ من الثثرة مع معارفها وصديقاتها ، لكنها كانت حريصة دائما على ألا
يفطن أحد إلى ما تفعله.. فكانت بين حين وآخر تراقب رئيسها، فإذا اقترب منها،
ترفع من درجة صوتها وهي تقول: نعم. رقم فلان هو كذا .





وتحديدها إلى الفاره الخاصة بالحاسب الذى أمامها، فتظهر بذلك وكأنها تبحث عن الأرقام.. فما أن يashهد ذلك رئيسها، يهز رأسه معجبا ومدركا لعملها، ولا يتطرق إليه أدنى شك فى أنها منهمكة فى عملها.

ولما لاحظت احدى صديقاتها أثناء الحديث معها التغير الذى يحدث فى صوت فوزية، وأنها قالت فجأة «نعم. رقم كذا»، سألها فى حيره :

الله . ماذا حدث يا فوزية ؟

أجابتها فوزية :

لا شئ. فالريس يمر .

قالت ذلك وزطلقت ضحكة طويلة، وأردفت فى مباهاه :

لكى تعرفى يا حبيبتى من هى فوزية الفهلوية التى تستطيع أن تخدع الجميع !

وتنهدت فى عمق وهى تقول فى مباهاه :

ما هي الحياه يا صديقتى مجرد شاطره وفهلوه،
والذى يعمل فيها بجد وأخلاص هو الخائب..
.. واستمرت فوزية فى خداعها لروسائها وزملائها
فى العمل لمدة.. حتى جاء يوم، عادت فيه فوزية من
عملها إلى مسكنها متلهفة كعادتها لرؤية ولديها..



بيد أنها ما أن بلغت باب مسكنها، وقامت برن
الجرس الرنات التى يعرف ولديها أنها رناتها
هى، لكنها لم تجد أحدا يفتح لها الباب،
فأصيبت بدهشة شديدة وعلى الفور
أخرجت مفتاح بابالمسكن، وفتحت
الباب، وولجت مسرعة إلى الداخل،
وجعلت تبحث عنها فى كل مكان
بالمسكن، ولكنها لم تجدهما، فأصيبت
بجزع شديد..





فلا يمكن أن يكون خالد أو هدى قد غادرا المنزل، فخالد الأكبر لم يبلغ الخامسة من عمره بعد... أما هدى فلم تتجاوز الثالثة من عمرها.. فلا يمكن أن يخرجوا بمفردهما؟.. فخطر ببالها.. ربما جاء والدهما بمكرا من عمله وصحبهما معه؟. فقامت علي الفور، واتصلت من خلال المحمول بزوجها.. ولكنها ما كادت تحدثه، إذا بها تفاجأ مفاجأة كبرى.. فزوجها لم يحضر، بل ما يزال في عمله !!



بعد... أماهدى فلم تتجاوز الثالثة من عمرها.. فلا يمكن أن يخرجنا بمفردهما؟..
فخطر ببالها.. ربما جاء والدهما بمكراً من عمله وصحبهما معه؟. فقامت علي الفور،
واتصلت من خلال المحمول بزوجها.. ولكنها ما كادت تحدثه، إذا بها تفاجأ مفاجأة
كبيرة.. فزوجها لم يحضر، بل ما يزال في عمله !!

فما أن سمعت من زوجها ذلك، حتى صرخت فجأة وهى تتساءل فى جزع «هل .
هل اختطفها أحد؟!».



فتهاوت على أقرب مقعد وهى فى حالة من الجزع والأعياء الشديدين .. وحاولت
أن تقف على قدميها، لتغادر المسكن وتبحث عنهما، بيد أن قدميها لم تتطاوعاها..

وفجأة.. تناهى إلى اذنيها صوت خطوات تقترب من باب المسكن.



.. كانت خطوات تدل على أن صاحبتها امرأة، لزنها ترتدى كعب رفيع، فانتفضت قائمة وهرولت إلى باب مسكنها.. ومتى كانت بفتح الباب، وجدت أمامها جارتها محاسن .

بأدريتها محاسن قائلة في لهفة :
أخيرا. وصلت يا فوزية !
فلما نظرت إليها فوزية في ذهول وتساؤل، أردفت قائلة :
إن هند ابتكت في المستشفى.



فأطلقت فوزية آهه عالية، وكادت أن تقع مغشيا عليها، بينما واصلت محاسن قائلة
لتوضح الأمر :



لا تخش شيئا. فقد صاحبها زوجى إلى هناك. وذهب برفقته أبناك خالد .
فسألتها فوزية، وهى تشعر أنها تسقط فى بئر عميق :

ماذا تقولين . ماذا حدث لابنتي ؟

أجابت جارتها محاسن :



لقد صعد خالد أبنك صباح اليوم إلى مسكننا، وأخبرني أن هندا حرارتها مرتفعة جدا، فحاولت الاتصال بك، ولكن كان هاتفك مشغولا طوال الوقت، فلجأت إلى زوجي الذي جاء على الفور، وحملها إلى المستشفى بسرعة.

ماكادت فوزية تسمع ذلك، حتى صاحت في لهفة شديدة :
هيا بسرعة إلى المستشفى .

وهرعته مغادره باب مسكنها وفي أعقابها أسرعت جارتها محاسن .
وما أن مرت نصف ساعة فقط، حتى وجدت فوزية أمامها أبتنهاهدى . فتسمرت
في مكانها.. كانت ابنتها راقدة على أحد الأسرة، وحولها يقف رجل يرتدى وشاح



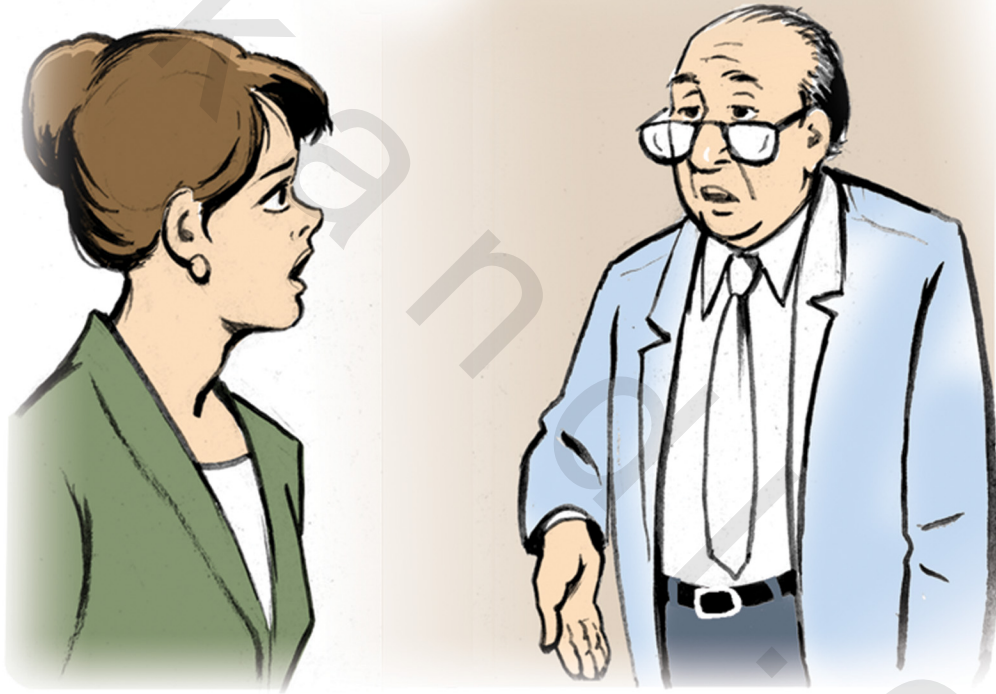
ابيض، يبدو أنه الطبيب، بينما كانت إحدى الممرضات مشغولة بقياس حرارة هدى..
وعلى حافة السرير يجلس شقيقها خالد .
وبعد دقيقتين فقط، أخرجت الممرضة ميزان الحرارة وقدمته للطبيب، فما أن أمعن
النظر فيه لثوان، حتى أطلق زفره عميقة، وقال :





الحمد لله. أخيرا انخفضت الحرارة وصارت طبيعية .
ثم التفت إلى فوزية وخاطبها قائلاً :

الآن فقط أستطيع أن أقول حمد لله على سلامة أبتك ، فمنذ أن وصلتنا منذ عدة ساعات وحتى الآن استمرت مرتفعة رغم محاولتنا العديدة .



أردفت المريضة :

لا تتصورا أن الدكتور حسن، لم ينم فهو منذ أمس موجود بالمستشفى، وكان

المفروض أن يغادرها لينم بعد نوباتجيته لينم في منزله، ولكنه لما وجد حالة أبتك خطيرة، ولا يوجد في هذا الوقت طبيب آخر، تغلب على نعاسه والامه واستمر في علاج أبتك حتى شفيت .

فراحت فوزية تدعو له وتشكر جهده، بيد أنه قال في حرج :

وهل يمكن أن أترك أبتك وهي على هذا الحال، فهذا واجبي أصلاً .

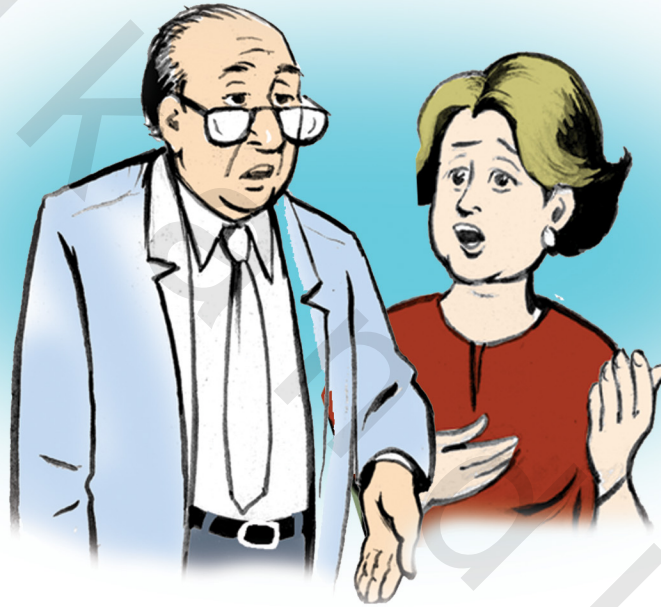
وتوقف الطبيب لحظة، ولكن بدا له شيء، فتساءل فجأة :

ولكن، لماذا تأخرتم لساعات طويلة؟! فلو كنتم تأخرتم لدقائق أخرى فقط، لفقدتوا أبتكم .



فاندفعت الجارة محاسن قائلة :

لأننى لم أكن أعرف أرقام هواتف المستشفيات ولا أرقام هواتف عيادات
الأطباء.



فعلق الطبيب وهو لا يصدق :

وهل فى ذلك مشكلة ! عليك بالأتصال بدليل التليفونات العمومى ، فديه أرقام
جميع المستشفيات والعيادات والأطباء .

فاندفعت الجارة محاسن فى غضب :

لقد كان خط هاتف الدليل مشغولا لعدة ساعات كاملة، فاضطرت إلى الأتصال
بزوجى فيعمله، فترك ما فى يده وجاء على الفور ليأخذ معه هدى.

.. وفي اليوم التالي.. وما كادت فوزية تبدأ عملها، كان أول شيء فكرت فيه، أن تتصل بصديقاتها لتروى لهم ما حدث بالأمس.. بيد أنها تذكرت فجأة الطبيب الذي ظل يعالج ابنته وهو يصارع النوم ولم يستسلم للتعب من أجل إنقاذ ابنتها.. وهي بإهمالها لعملها واستخدامها لهاتف الدليل، تحرم العشرات.. بل المئات في كل يوم من الاستعلام.. فربما كان أحدهم يحتاج إلى رقم هاتف مستشفى أو عيادة لإنقاذ أحد أبنائه أو أقاربه، أو شاب في أمس الحاجة لمعرفة رقم هاتف شركة، لطلب وظيفة، وهو لا يعرف أرقام هواتفها.. فهي بإهمالها لعملها هذا تفوت على كل هؤلاء الفرصة.. والزوغان من عملها إنما يعنى خيانة.. لشرف المهنة!!

